اساليب البحث الاجتماعية

يقصد بأساليب البحث الاجتماعية تلك الاساليب التي تهدف الى الكشف عن اسباب الظاهرة الاجرامية بوصفها ظاهرة في حياة المجتمع . ومن اهم الاساليب الاجتماعية في البحث : الإحصاء ، دراسة الحالة ، الملاحظة ، المسح الاجتماعي ، المقارنة .

الإحصاء

يقصد بالإحصاء هو الترجمة الرقمة لتلك الظاهرة . او هو تعبير عن ظاهرة معينة بالارقام .

- تعد فرنسا اول بلد قام بإعداد إحصاء سنوي ، نشر أول إحصاء عام ١٨٢٧ عن الجرائم المرتكبة في جميع الاقاليم الفرنسية ، قام بهذا الإحصاء العالم الفرنسي جيري والعالم البلجيكي كاتيليه ، ثم تابعت بقية الدول إعداد الدراسات الإحصائية .

اهمية الإحصاء بيان حركة الاجرام في ذلك الزمان والمكان وإرتباطها بالظروف الداخلية والخارجية التي ادت الى زيادة وانخفاض تلك الجرام ، ولتأكيد هذه الاهمية للإحصاءات الجنائية فقد اكد عليها مؤتمر الأمم المتحدة السادس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين كما اكد على ضرورة وضع إحصاءات اكثر فاعلية وكفاية عن الجريمة والجنوح .

طرق الاحصاء :

طريقة الاحصاء الثابتة : هذه الطريقة تسمى بطريقة الاحصاء (المكاني) ويقصد بها دراسة الظاهرة الاجرامية في عدة بلدان أو في اقاليم متعددة في بلد واحد ولكن في فترة زمنية محددة ثابتة ، مع عقد المقارنة بينها وبين الظروف المختلفة السائدة في كل بلد او اقاليم للوصول الى العوامل المسببة للإجرام .

مثال : إجراء إحصائيات لحركة الاجرام بين مدن : بيروت وبغداد والقاهرة لعام ٢٠١٠ والمقارنة بينها والتوصل الى اسباب الاختلاف فيها .

طريقة الاحصاء المتحركة : دراسة الظاهرة الاجرامية من حيث الزمان ، اي دراستها في مكان واحد ولكن في فترات زمنية متعددة .

مثال : المقارنة بين إجرام الاحداث في مدينة بغداد للاعوام (٢٠٠٦ / ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨) مع ربط حركة الاجرام هذه بأهم العوامل التي ادت الى هذه الزيادة او ذلك الانخفاض في الظاهرة الاجرامية .

مزايا الاحصاء : يعد الوسيلة المناسبة في تحديد الظاهرة الاجرامية في مكان معين وزمان معين والمقارنة بينها زماناً ومكاناً . وقد وصفه الاستاذ (ثورستن سيلين) بإنه (مرآة للجريمة) .

عيوب الاحصاء :

١. عجز الاحصاءات الجنائية عن تقدير صورة رقمية كاملة وصادقة عن واقع الظاهرة الاجرامية في المجتمع ، نظراً لقصور هذه الاحصاءات على الاحاطة بأنواع الجرائم كافة والتي ترتكب في الواقع ، مهما كانت دقة هذه الاحصاءات فلا يسعها تسجيل كل الجرائم التي تقع بالفعل مما يعني ان هناك فرق بين الجرائم التي تسجل والجرائم التي تقع بالفعل ، وهذا الفرق بين ما يقع وما يسجل من جرائم يطلق عليه (الرقم المظلم) (الرقم الاسود) .

٢. يواجه الاحصاء اخطاءاً فنية غير مقصودة او حتى اخطاءاً مادية طباعية عند تسجيل تلك الجرائم ، فضلاً عن التحريف المتعمد للعديد من الاحصائيات لاسيما بعد التزايد الملحوظ في اعداد الجرائم وشعور المواطنين بعدم الامان .

٣. العديد من الجرائم التي تقع في المجتمع قد لا يتم الاخبار عنها نظراً لما تثيره من حساسيات اجتماعية كجرائم القتل بدافع الشرف او انها تبقى بعيدة عن مرأي ومسمع السلطات العامة كجرائم الرشوة والاجهاض وحمل السلاح بغير ترخيص وما شابه بحيث لا تعطي الاحصائيات صورة دقيقة عن المرتكب الحقيقي من الجرائم .

٤. الاختلاف بين مكان او زمان ارتكاب الجريمة ومكان او زمان اكتشافها ، فبعض الجرائم ترتكب في مكان وزمان معينين ومن ثم تكتشف في مكان وزمان آخرين ، وهو ما يجعل من تلك الاحصاءات صورة غير دقيقة عما يرتكب من الجرائم .

- الاحصاء يبقى من اهم الطرق التي تعكس واقع المتحقق من الجرائم في مجتمع معين وزمان معين وان كانت الارقام التي ترد في تلك الاحصاءات ارقاماً غير دقيقة وتقريبية إلا انها مع ذلك تعكس صورة شبه واقعية عما وقع من جرائم .

دراسة الاحالة

دراسة الحالة دراسة جميع الخصائص والظروف الخاصة بكل مجرم على حده، وعدم الاقتصار على دراسة خاصية او ظرف مجرد كما في طريقة الاحصاء.

هذه الطريقة تقوم على اساس الدراسة التفصيلية للفرد من حيث دراسة تاريخ حياته منذ ولادته حتى ارتكابه الجريمة التي يخضع بشأنها للفحص ، فضلاً عن فحصه من الناحية البايولوجية والنفسية لبيان ما قد يكون به من وجود الخلل العضوي او النفسي التي غيرت مجرى حياته سواء كانت هذه الظروف صحية او اقتصادية او اسرية او تعليمية مع دراسة وضعه الاجتماعي والمهني وعلاقاته بزملاء العمل وغيرهم عما تشمل الدراسة تلك الجرائم التي ارتكبها لبيان كيفية ارتكابها والظروف التي دفعت اليها وما ترتب عليها من آثار ، ويلجأ الباحث في سبيل الحصول على هذه المعلومات عن الحالة التي يدرسها الى مصادر متعددة منها الفرد محل الدراسة نفسه او من خلال الاستعانة بأقربائه او زملائه في العمل او من تربطه بهم علاقة صداقة او الوثائق والتقارير الخاصة به بحالته الصحية والنفسية والعقلية .

مزايا دراسة الحالة

١. تساعد في الاحاطة الكاملة بشخصية الجاني من خلال دراسة تلك الشخصية من مختلف جوانبها مع دراسة تاريخ تلك الشخصية بعواملها المختلفة مع تحليل مختلف عوامل السلوك الاجرامي للجاني بشكل مفرد .

٢. يساعد القاضي او الادارة العقابية على اختيار العقوبة او تدبير الملائم لشخص الجاني .

عيوب دراسة الحالة

١. يؤدي هذا النوع من الدراسة بالباحث الى التسرع في التعميم ، اي تعميم تلك النتائج التي يتوصل اليها من خلال تلك الدراسة مع انها قد تكون غير قابلة للتعميم او التطبيق على الحالات الاخرى التي تتماثل معها في الظاهرة فقط .

٢. الميل والتحيز والخروج عن الحياد العلمي ، قد يتأثر الباحث بمعتقداته الشخصية وتقديراته الخاصة فقد يبرز الفاحص العديد من العوامل التي لا قيمة لها ويهمل عدد من تلك العوامل المؤثرة في السلوك الاجرامي .

الملاحظة

الملاحظة : هي مراقبة ظاهرة معينة او سلوك معين بغية تحليلها والربط بين اجزائها وصور الظواهر والسلوك الاجرامي .

الملاحظة كأداة لجمع المعلومات من خلال مشاهدة موضوع معين على نحو هادف بموجب اجراءات منظمة يقوم بها الباحث لتحقيق افضل فهم لهذا الموضوع

من امثلة استخدام هذه الوسيلة ، ملاحظة سلوك المفرج عنهم شرطياً ، ملاحظة سلوك الاحداث ، ملاحظة سلوك المسجونين .

صور الملاحظة

الصورة الاولى : الملاحظة المنظمة : استخدام وسائل وادوات تعين القائم بالملاحظة على اتمام مهمته في الوصول الى ادق النتائج واوضح الحقائق ، من ادوات هذا النوع من الملاحظة اجهزة التسجيل والتصوير والتحاليل الطبية واجهزة الكشف الجنائي والمقاييس .

الصورة الثانية : الملاحظة البسيطة : هذه الصورة تقوم على المراقبة المباشرة للظاهرة محل المراقبة دون الاستعانة بأية وسيلة فنية .

تقسم هذه الصورة من الملاحظة الى الملاحظة بالمشاركة والملاحظة بغير المشاركة ، وكالاتي :

الملاحظة بالمشاركة : تتم من خلال قيام الباحث بدور ايجابي داخل الجماعة المبحوثة فيعيش معهم ويتصرف كما يتصرفون بحيث يشعرهم انه واحد منهم بغية الوقوف على

سلوكهم بعفوية وتلقائية ودون تكلف او تصنع من اجل الحصول على افضل النتائج الممكنة لهذا كان من الافضل للباحث ان لا يكشف عن شخصيته البحثية حفاظاً على تلك العفوية والتلقائية .

مثال : ان يتعايش الباحث مع مجموعة من المحكومين بالسجن عن جرائم القتل او المخدرات فيتعايش معهم على انه محكوماً عليه ومسجوناً مثلهم ليقف على سلوكهم العفوي.

الملاحظة بغير المشاركة : يقوم الباحث بدور المراقب اكثر من دور المشارك فهو لا يشترك في النشاط الذي تقوم به الجماعة انما يراقبه فحسب .

مثال : مراقبة حركة سير المركبات ليلاً لا يكون رجل المرور ومراقبة مدى التزام قادة المركبات بقوانين المرور .

مزايا الملاحظة

- ملاحظة اولئك المفحوصين الذين لا يستجيبون للاستبيان والمقابلة .
- متابعة التغيرات السلوكية ورصدها ، فضلاً عن إجراء الدراسات القانونية الميدانية والمسحية .

عيوب الملاحظة

١. انها تتطلب وقتاً طويلاً للحصول على المعلومات ، فضلاً عن الخدعة التي تبديها حواس السمع والنظر .

٢. انها لا تجدي نفعاً في مراقبة السلوك البشري بتلقائية فحينما يشعر الشخص انه مراقب سيتصرف بتصنع وتكلف .

٣. لا تجدي الملاحظة نفعاً مع المشكلات الخاصة كمشكلات الجنس او الأسرة التي يصعب ملاحظتها .

المقارنة

إجراء مقارنة بين المميزات الخاصة بالمجرمين والظروف التي عاشوا فيها من جهة وبين مميزات الاشخاص العاديين والظروف المحيطة بهم من جهة اخرى .

من خلال هذه الطريقة يمكن استخلاص نوع العلاقة بين الظاهرة الاجرامية وبين الظروف المحيطة بالمجرمين ، فقد تكون هذه العلاقة عكسية وقد تكون طردية .

مثال : مقارنة بين ظاهرة إجرام الاحداث وبين انخفاض مستوى التعليم او إجراء المقارنة بين حجم الظاهرة الاجرامية في الريف عنها في المدينة .

من اهم مزايا هذه الطريقة انها كفيلة بالتوصل الى نتائج علمية دقيقة .

عيوب المقارنة

١. النتائج التي تؤدي اليها المقارنة تكون محلاً للشك في كثير من الاحيان ، فمثلاً مقارنة المسجونين بغير المجرمين غالباً ما تؤدي الى المبالغة في إظهار غباء المسجونين نظراً لأن أقل المجرمين فطنة وذكاءً هم الاكثر عرضه لإحتمال إلقاء القبض عليهم .

٢. إذا كان من شأن هذه الطريقة ان تكشف بوضوح عن عوامل السن والجنس ، فالعوامل الاخرى التي تخص المسجونين يتعذر الالمام بها كالظروف الاسرية وسلوك الوالدين وغير ذلك .

٣. لا يمكن الاعتماد على الدراسات الخاصة بالمسجونين لان هؤلاء لا يمثلون كل مرتكبي الجرائم فالعديد منهم قد أفلت من العقاب بشكل او بآخر .

المسح الاجتماعي

دراسة وصفية ترمي الى جمع الحقائق عن فرد معين او ظاهرة من الظواهر الاجتماعية بما يساعد في ابراز خصائص تلك الظاهرة ثم تعميم النتائج المستخلصة منها على افراد المجتمع كافة او افراد معينين فيه ، كما هو الحال بالنسبة لطائفة من المجرمين المتشردين او المدمنين على المخدرات او ممتهني جرائم الدعارة .

يتحقق إسلوب المسح الاجتماعي بطريقتين هما :

الاولى : **دراسة البيئة** : يقسم الباحث الاقاليم الذي يقوم بإجراء بحثه عليه الى عدة مناطق تختلف في ظروفها الثقافية والاجتماعية والحضارية والاقتصادية مثلاً ، ثم يحاول الباحث الربط بين توافر هذه الظروف او تخلفها واتجاه الظاهرة الاجرامية فيها ثم مقارنة الاقاليم بعضها ببعض حتى يستخلص الصلة بين الظاهرة الاجرامية والظروف المختلفة ، وقد اتبع العالم الايطالي (دي توليو) هذه الطريقة في دراسة الظاهرة الاجرامية في بعض المناطق المتخلفة في ايطاليا .

الثانية : **الاستبيان (النموذج الاستجوابي)** مجموعة من الاسئلة او البنود حول موضوع معين بحيث تغطي جوانب الموضوع كافة بما يمكن من الحصول على البيانات اللازمة للبحث ، الى جانب هذه الاسئلة الموجة في الاستبيان فإنه يتضمن اسئلة اخرى تمثل المتغيرات المستقلة (البيانات الشخصية) للمفحوصين كالسن والجنس والتحصيل الدراسي ومكان العمل او السكن وعدد افراد الاسرة وغير ذلك من البيانات باستثناء الاسم في الغالب لا يطلب من المفحوص ذكر اسمه وذلك لا عطائه الحرية كاملة في الاجابة ورفع الحرج والقيود النفسية التي تقيده فيما لو ذكر اسمه .

نموذج احد اشكال الاستبيان لمجموعة من المحكوم عليهم بعقوبة السجن :

- ما رأيك بنظام العمل في السجون .
- ما مستوى الخدمات الصحية المقدمة لك .
- ما رأيك بمكتبة السجن .

مزايا الاستبيان

سهولة تطبيقه دون بذل مجهود كبير جداً وعدم تكليفه لنفقات اقتصادية باهضة ، فضلاً عن كونه يعطي للمشارك فرصة كافية للتفكير دون ايقاع ضغوط نفسية عليه كما في الاختبارات والمقابلة ، سيما وانه يجيب دون معرفة شخصه او إسمه ، كما انه يمكن الباحث من الحصول على بيانات ومعلومات حساسة ومحرجة قد لا يستطيع الباحث الحصول عليها بالمقابلة وغيرها ، لان المفحوص يخشى او يخجل الادلاء بها امام الباحث .

عيوب الاستبيان

١. تخلف بعض المفحوصين عن اعادة استمارات الاستبيان الى الباحث يقلل من تمثيل العينة المفحوصة لمجتمع الدراسة .

٢. يتأثر المفحوص بطريقة وضع الاسئلة قد تكشف هدف الباحث وميوله فيميل الى اجابات ترضي الباحث او العكس .

٣. لا يصلح الاستبيان لأولئك المفحوصين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة إلا إذا كان الاستبيان مصوراً .

٤. قد يفسر بعض المفحوصين اسئلة الاستبيان بشكل خاطئ او سلبي وهو ما يؤثر في اجاباتهم .

٥. بعض المشاركين قد يحاول الاجابة على تلك الاسئلة بشكل عشوائي فوضوي .

ومع ذلك يمكن تلافي عيوب الاستبيان هذه من خلال الدقة التي يتوخاها الباحث في مراحل اعداده وصياغة اسئلته .